المتن:

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر: ٤٩].

الحمد لله رب العالمين،، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فلما فرغ المصنف -رحمه الله- من المرتبة الأولى من مراتب الدين: وهي الإسلام؛ ثنى بما ثنى به نبينا -صلى الله عليه وسلم- وجبريل في الحديث المشهور وهو الإيمان، والإيمان إذا ذكر فقد يراد به الإيمان الذي بمعنى الدين كله، وقد يراد به الإيمان الذي هو الأعمال الباطنة، فإذا ذكر الإيمان مع الإسلام في نص واحد؛ فإن الإسلام يعني الشرائع الظاهرة، والإيمان يعني العقائد الباطنة، وإذا ذكر كل منهما في نص مستقل؛ فإن كل منهما يدل على الدين كله، فلو قال لك قائل: ما الفرق بين الإيمان والإسلام؟ فقل له: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك: أي إذا اجتمعا في نص واحد بأن ذكر الإسلام والإيمان؛ فإن الإسلام يعني الشرائع الظاهرة كما في حديث جبريل، فقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم فيه الإسلام بأنه أركان الإسلام الخمسة التي هي شرائع ظاهرة: النطق بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت، وفسر الإيمان بالعقائد الباطنة فقال:(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)، أما إذا جاء ذكر الإسلام منفردًا؛ فإنه يتضمن الإيمان؛ لأنه يعني الدين كله كما قال الله: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩] ، وإذا ذكر الإيمان منفردًا؛ فإنه يدل على الدين كله المتضمن للإسلام، هذا هو معنى قول بعض العلماء إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا؛ ولأجل ذا فإن الشيخ -رحمه الله- لما أراد أن يعرف المرتبة الثانية الإيمان ذكر التعريف العام والتعريف الخاص؛ فقال: **الإِيمَانُ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ** -كما قال النبي صلى الله عليه وسلم- ثم بعد ذلك عدد أركانه.

والإيمان في اللغة: معناه التصديق؛ لكنه تصديق من نوع خاص، قال الله تعالى عن إخوة يوسف {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} [يوسف: ١٧] ؛ لكنه في الواقع تصديق مقرون بائتمان وإقرار وانقياد وإذعان؛ فهو ليس تصديقًا مجردًا، فالإيمان في اللغة: التصديق المقترن بالإقرار والإذعان.

وأما معناه في الإصطلاح؛ فهو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وهذا هو معنى قول العلماء: الإيمان قول وعمل؛ فالإيمان له حقيقة مركبة من القول والعمل ليس الإيمان فقط مجرد القول، ولا مجرد العمل؛ بل الإيمان قول وعمل؛ ولهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأن له شعبًا كثيرة قال: (فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إِله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ)، فلا يتم إيمان امرئ مسلم إلا بأن يعتقد بجنانه -بقلبه-، ويتلفظ بلسانه، ويعمل بأركانه –جوارحه-، فالقلب يتعلق به اعتقاد وعمل، واللسان يتعلق به قول وعمل، والجوارح يتعلق بها عمل.

❖ **ونبين ذلك بالأمثلة:**

- **قول القلب**: المراد به اعتقاده، يعني ما ينعقد عليه القلب من العلوم الصحيحة والمعارف الصائبة: كأن تعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له، أرسل رسلًا، وأنزل كتبًا، وجعل يومًا آخر وجنة ونارًا: هذه عقيدة قلب هذا قول القلب.
- **عمل القلب**: هو ما يتحرك به القلب من النيات والإرادات: كالمحبة والخوف والرجاء.

ففرق بين قول القلب وعمله: فقول القلب: هو الاعتقاد، وعمل القلب: هو ما ينبض به القلب من العبادات القلبية: كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والاستعانة وغيرها.

- **قول اللسان**: المقصود به: الاستعلان بالشهادتين؛ فلا نحكم بإسلام أحد حتى يلفظ بلسانه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، لا بد من هذا الإعلان الظاهري جهرًا.
- **عمل اللسان**: ما زاد على ذلك: من التلاوة والدعاء والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والقول الحسن.
- **أعمال الجوارح**: ما تقوم به الجوارح من حركات تعبدية: كالقيام، والركوع، والسجود في الصلاة، وكالوقوف بعرفة، ورمي الجمار، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة في الحج.

فلا يكون إيمان إلا بالقول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، بهذا تتم منظومة الإيمان، فلو قال إنسان: أنا قد صدقت بأن الله حق، ووعده حق، والنبيون حق، والجنة والنار حق، لكن لا عمل: لن أفعل الطاعات، ولن أجتنب المحرمات مطلقًا، فلا نثبت له إيمانًا؛ لأن الإيمان حقيقته مركبة من قول وعمل، فلا بد من القول والعمل معًا؛ لكن هذا لا يلزم أن يأتي بجميع أعمال الجوارح؛ لكن لا بد أن يكون منه عمل؛ فإنه إذا كان في القلب عقيدة فلا بد أن تثمر عملًا، ولهذا مثّل النبي –صلى الله عليه وسلم- لشعب الإيمان بهذه الأمثلة، قال: (فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إِله إِلا اللهُ)، هذه أعلى شعب الإيمان.

قوله: قَوْلُ لا إِله إِلا اللهُ: تشمل اعتقاد القلب؛ لأن الاعتقاد يقال عنه: قول ونطق اللسان.

قوله: وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ: هذا عمل جوارح؛ فإماطة الأذى عن الطريق خصلة من خصال الإيمان.

قوله: وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ: هذا عمل القلب.

فلهذا مثل النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الأمثلة، وبهذا يتبين لنا أن الإيمان يشمل الدين كله بهذا التعريف، فحينما نقول الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، أو نقول: الإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، **هذا هو التعريف العام للإيمان** الذي يساوي الدين كله.

أما التعريف الخاص للإيمان؛ فإنه يقصد به: العقائد القلبية التي فسرها النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل بقوله: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

وهذه العقائد -العبادات- القلبية: هي شجرة الإيمان التي قال الله عنها : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} [إبراهيم:٢٤- ٢٥] ، وسوف أعرض عليكم الآن تقسيمًا لهذه الشجرة، ومن أحسن التقاسيم التي مرت عليّ في بيان شجرة الإيمان تقسيم شيخنا -رحمه الله- محمد بن صالح العثيمين لهذه المسألة، وسأعرض عليكم كلامًا مفيدًا منظمًا، أرجو أن يكون منكم على بال، وأن تقيدوه وتكتبوه، وتتصوروا هذه الشجرة المباركة الشريفة:

شجرة الإيمان: الساق العظيم لهذه الشجرة هو الإيمان، ويتفرع منها ستة فروع، وكل فرع من هذه الفروع الستة يتفرع منه أربعة أغصان، وبهذا سيخرج معنا في النهاية أربعة وعشرين غصنًا، وكل هذا من باب تقريب العلم؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (الإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)؛ فهذه ستة أركان.

❖ **الركن الأول**: **الإيمان بالله،** ولا يتم إيمان امرئ بالله حتى يؤمن بأربعة أشياء:

أولًا: **الإيمان بوجوده سبحانه؛** فيعتقد الإنسان اعتقادًا حازمًا بوجود الله سبحانه وتعالى، وهذا أمر فطري، ولا ينازع في هذا الأمر إلا الملاحدة المنكرين لوجود الله عز وجل.

ثانيًا: **الإيمان بربوبيته**: أي الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المالك المدبر -كما تقدم معنا سابقًا- وينازعنا في هذا: منكرو الربوبية: كفرعون الذي قال : {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٢٣] ، وكالنمرود الذي قال: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} [البقرة: ٢٥٨].

ثالثًا: **الإيمان بألوهيته**: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، وينازعنا في هذا: المشركون الذين يصرفون شيئًا من أنواع العبادة لغير الله.

رابعًا: **الإيمان بأسمائه وصفاته**، أو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] ، وينازعنا في هذا: صنفان من الناس من أهل القبلة:

المعطلة: الذين ينكرون أسماء الله وصفاته كلها أو بعضها.

والممثلة: الذين يثبتونها على وجه مماثلة المخلوقين.

أما أهل السنة؛ فإنهم يثبتون إثباتًا بلا تمثيل، وينزهون الله تنزيهًا بلا تعطيل.

وهذا هو الفرع الأول بأغصانه.

❖ **الركن الثاني : الإيمان بالملائكة**، ولا يتم إيمان امرئ بالملائكة حتى يؤمن بأربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بوجود الملائكة، وأنهم خلق حقيقي من خلق الله خلقهم الله تعالى من نور، وينازعنا في هذا: الماديون الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات ولا يؤمنون بالمغيبات، أو الذين يزعمون بأن الملائكة قوى معنوية وليست أجسامًا حقيقية.

الأمر الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم ، ومن لم نعلم اسمه؛ فإننا نؤمن به إجمالًا، الإيمان بمن علمنا اسمه منهم مثل: جبريل، ميكائيل، إسرافيل، ملك الموت، منكر، نكير؛ فهؤلاء نؤمن بهم بأسمائهم، ومن لم نعلم اسمه منهم فإننا نؤمن به إجمالًا ؛ لأن ملائكة الله كثر لا يحصيهم عد، {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١] ؛ فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- (رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)(١)، يعني لا تأتيهم النوبة مرة أخرى وهذا يدل على كثرتهم، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ حتى قال الراوي: وددت لو أني شجرة تعضد)(٢)، والأطيط: هو الصوت الذي يُسمع حينما يثقل الراكب على الرحل فيسمع للسيور والجلد صوت بسبب الثقل.

الأمر الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، ذلك أن الملائكة عالم غيبي لم نره بأعيننا؛ لكن الله تعالى أخبرنا عن بعض صفاتهم؛ فقال سبحانه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [فاطر: ١] إذن من ملائكة الرحمن من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من فوق ذلك، حتى أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه رأى جبريل وله ستمائة جناح(٣)، كل جناح قد سد الأفق؛ لعظم خلقه عليه الصلاة والسلام، وقال في حديث آخر: (أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ)(٤)، تبارك الله هذا خلق من خلق الله.

الأمر الرابع: الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن عبادة مشتركة بين جميع الملائكة: وهي الاجتهاد في العبادة، فقال: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٠٧)، صحيح مسلم (١٦٤).

(٢) سنن الترمذي (٢٣١٢)، قال الألباني حسن دون قوله لوددت.

(٣) صحيح البخاري (٤٨٥٧)، صحيح مسلم (١٧٤).

(٤) سنن أبي داود (٤٧٢٩) صححه الألباني.

يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } [الأنبياء: ١٩، ٢٠] ، فقد ألهموا التسبيح إلهامًا وأعطاهم الله سبحانه وتعالى القوة على عبادته، كما قالوا: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} [البقرة: ٣٠] ، هذا دأبهم وهذا عملهم؛ فنفوسهم زكية ليس فيها نزعة إلى الشر مطلقًا؛ فهذه وظيفتهم المشتركة، لكن لهم وظائف متخصصة كما قال الله تعالى : { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} [الصافات: ١٦٥، ١٦٦] وقال الله تعالى {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات: ١ – ٥] ، هذه طوائف من الملائكة مكلفة بأعمال معينة.

ومن أعمالهم:

- كتبة الأعمال: فقد أخبر الله تعالى أنهم {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٧، ١٨]
- عمل ملك الموت الذي يقبض الأرواح.
- عمل الملك الذي يتسور على الجنين في بطن أمه؛ فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟
- المعقبات: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } [الرعد: ١١].
- وأشرف أعمالهم: أمانة الوحي، وهذه مهمة جبريل: { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ } [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].
- عمل ميكائيل: الذي هو النزول بالقطر من السماء، وإنبات الأرض.
- عمل إسرافيل: الذي هو النفخ في الصور؛ فتعود الأرواح إلى الأجساد التي كانت تعمرها في الدنيا.

وبالجملة فملائكة الرحمن قد أسندت إليهم مهام متعددة متنوعة متخصصة؛ فنؤمن بما صح به الخبر.